زواج بدون إزعاج

الزواج علاقة إنسانية دائمة تلتقى فيها ـ كما قيل ـ إنسانية إنسان بإنسانية إنسانة ، وهو علاقة ليست نفسية بحتة ، ولا جسدية محضة . وإنما هو علاقة بشرية تجمع بين الأمرين ، وتتواءم وطبيعة الإنسان التى تقف وسطا بين الملائكية والحيوانية ، رأس مالها الحب والوفاء والرعاية والثقة المتبادلة وهدفها الأسمى السكون النفسى والجنسى ، وقيام كل من الزوجين بأداء مسئوليته تجاه الطرف الآخر سواء كانت أسرية أو اجتماعية أو نفسية كما أمر الله تعالى بها وأوضحت شريعته الغراء .. قال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم : ٢١].

الزواج شركة بين طرفين أولهما رجل ، والثانى امرأة ، وشعار الشركة التعاون والإخلاص والتضحية والإيثار والأمانة والوفاء ، وليعلم الشريكان أن الله سبحانه وتعالى ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما الآخر ، فإن خان أحدهما صاحبه خرج الله من بينهما ودخل الشيطان . ولأن لكل شىء عمادًا .. فعماد الأسرة المسلمة هو التقوى ، والتى بها تستغنى الأسرة المسلمة عن كل شىء ، وبدونها تفتقر الأسرة إلى كل شىء . فالتقوى هى المؤلفة للقلوب والمهذبة للطباع النافرة والمطهرة للنفوس غير السوية .. والتقوى هى السبيل إلى معرفة الحقوق ، وهى المذكرة للواجبات وهى الدافعة إلى عمل الخيرات ، الجامعة للأشتات ، وهى الميسرة للأمور الرادعة للشرور .

بيد أن البعض يرى أن الزواج هو حصن حصين ، يفكر من دخله فى الخروج منه ، ويحلم من هو خارج بالدخول فيه ، وقال البعض : هو علاقة جسدية تأخذ نهجها ومثلها الأدنى من الحيوانية ، وهو صفقة تجارية يشترى فيها شىء من الجمال والنسب بشىء من المال والنشب ، ورأى البعض أن الزواج هو علاقة تلجأ إليها الضرورة الوقتية حتى إذا ما انقضت تلك الضرورة أو عصفت بشراع

أحد الشريكين فيها رياح الكراهية المنفرة ساغ له أن يحل عقدتها ويقلع بهواه نحو مرفأ آخر .

الزواج قوام العالم وهو الذى يبنى المدن ويملأ المساجد والبيوت بالعباد والعمار .. وفى الزواج عدة فوائد ومزايا ، منها : العدل ، والشرف ، والثبات ، وصيانة الأعراض ، وهو شركة جليلة المزايا شريفة المنافع لقيامها على العهود المتبادلة .. والزواج أمر لازم ولا مفر منه وهو ميدان واسع للجهاد . ولقد خلق الله تعالى الرجل للمرأة وخلق المرأة للرجل ، وخلقهما الاثنين لعبادته والإقرار بوحدانيته وعمارة الكون على أسس صالحة قويمة فاضلة ، وقد أمر الله تعالى بالزواج للقادرين والمكلفين فقال سبحانه ﴿**وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[النور : ٣٢] .. وقال صلى الله عليه وسلم : "**النكاح سنتى**"[١] وقال "**إن الرهبانية لم تكتب علينا ..**"[٢] .. وقال "**من تزوج فقد أحرز شطر دينه ، فليتق الله فى الشطر الثانى**"[٣] . وقال أيضا "**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**"[٤] .

وقال أحد الشعراء عن الزواج :

لولا الزواج لما كنا ولا كانت ... هذى البلاد ولا شيدت مبانيها

إن الزواج يصون النفس يعصمها ... عما يحط بعلياها ويزريها

ويقول أبو قراط ـ أبو الطب ـ الزواج مصدر آداب المجتمع الإنسانى كله .. لذا فلا خلاف فى أن الصواب كله فى الزواج ، وحيث وجد الصواب توجد السعادة بقدر الإمكان ..

وقالت امرأة حكيمة : أفضل أن أكون زوجة فحام عن أن أكون عشيقة ملك ..

---

[١] أخرجه ابن ماجة (١٨٤٦) .

[٢] أخرجه أحمد فى المسند (٦/٢٢٦) .

[٣] أخرجه الطبرانى فى الأوسط والهيثمى فى مجمع الزوائد ٤/٢٥٢ .

[٤] أخرجه أحمد فى المسند (١/٣٨٥) والبيهقى فى المسند (٤/٢٩٦) .

وقال شاعر آخر :

إنما المـــرأة للمـــرء نصيب وشريك و رفـــيـــق وحبيب

لا يطيب العيش إلا معهـــا كل عيش دون إلف لا يطيب

ولكى يطيب الزوج ويهنأ فى معيشته وتستكين نفسه وتستقر حياته ، فعليه أن يحرص على المرأة التقية الورعة التـى تسره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ، وتحفظ نفسها وماله إذا غاب أو حضر .. وتتجمل له وحده فى غير تبذل أو مهانة ، وتفى بعهودها دومًا فى السفر والحضر ، قال رسول الله ﷺ : **"خير النساء من تســرك إذا أبصرت ، وتُطيعك إذا أمرت ، وتحفظ غيبتك فى نفسها ومالك"**[1]

عزيزى الرجل الشاب .. هذه دعوة خاصة لك أن تكمل نصف دينك إذا كنت لازلت عزبًا أو أرملاً مطلقًا ، فالزواج ليس جحيما لا يطاق ، وليس شرا كله كما حاول البعض أن يصفه ، ولكـــن الـزواج يعنـى فيمـا يعنيه الاستقرار والراحة والطمأنينة والسكينة لكل من الرجل والمرأة ، ولكـــن قـد يتحـول نعيـم الـزواج وواحته الخضراء إلى جحيم لا يطاق وصحراء قاحلة ، إذا لم يكن لدى المـرء خلفية صحيحة واضحة ، وشبه متكاملة عن ماهية وظـروف الشـريك الآخـر ونوعيتـه ، وكيفية معالجة سلبياته .

لأننـا فـى زمـن وبيئـات تجيـد تعليمنـا ، وتحصنـا علـى معرفـة كافـة العلـوم والرياضيات والفنـون إلا فـن الحيـاة ، يحـرص آباؤنـا وأمـهاتنا علـى إرسـالنا إلى المدارس ، وحثنا على الجد والاجتهاد ، والاستذكار والتفوق فى فن الحفـظ ـ أكـثر من الفهم ـ وكذلك تهدف فلسفة التعليم فى كثير من البلاد العربية .

ويسعد أهلونا حين تأتيهم الاختبارات ، وقد أحرزنا أعلـى الدرجـات وانتقلنـا من مرحلة دراسة لأخرى ، وقد يبعث المتفوقون علميا لاستكمال دراساتهم العليـا فى الخارج وهكذا .

ولكن أين ومتى نتعلم فن التعامل مع الحياة ؟ .

---

(١) أخرجه الطبرانى فى كبيره .

وكيف نربى فينا الذوق العام وحب الآداب ؟ ..

ومتى نتعلم كيف نفكر ؟ ..

وكيف نعمل ؟ ..

وما دورنا المنشود؟ ..

وكيف نستطيع أن نساهم فى بناء المجتمع الحديث ؟ ..

وكيف نقرأ التاريخ وسير الأجداد ، ليس من منظار المتعجبين والفرحين والمتباهين بأمجاد غيرهم ـ ولكن من أجل أن نسير على دربهم ونخطو خطوهم ، ونجيد ما أجادوا من البزوغ فى علوم الدنيا والآخرة ؟ .

ولنضع أيادينا فى أيادى إخواننا هنا وهناك ، من أجل أن نضىء شمعة ، ولا نلعن الظلام . من أجل أن نكون قدوة حسنة للأجيال القادمة ، ويعرف كل منا واجباته قبل حقوقه ، فيؤدى الأولى على أفضل وجه ، ثم يطالب بالثانية ، بحسن الخلق وصوت الحق ، ولنسمو فوق السفاسف والتوافه .

ولتقم المرأة بدورها كما كانت تؤديها جدتها الأولى المسلمة التقية الورعة ، وليقم الرجل بدوره المنوط به باقتدار ومهارة .

ولتنقشع عنا سحب الغباء والحقد ، والرتابة والجمود ، والصراع الأحمق الذى اختلقناه وشغلنا به أنفسنا ، واستنفدنا فيه طاقتنا عن صراعنا الحقيقى ـ صراع الحق والباطل ـ وصارت قضيتنا الحديثة وشغلنا الشاغل هو صراع القديم والجديد. صراع الرجل والمرأة . صراع التراث والحداثة !!

والحياة الزوجية فى جوهرها مزيج من السعادة والشقاء ، والراحة والعناء . فيها ما فيها من مزايا إيجابية ، وعيوب سلبية ، بقدر سلوك الزوجين .

والإزعاج شى متوقع ، وقد يكون مصدره الزوج نفسه ، أو الزوجة ، أو كليهما، أو أقارب الأول أو أقارب الثانية ، ولكن ترى إلى أى مدى نستطيع أن نطهر أنفسنا أولا من الشوائب والعلائق الموروثة ؟ .

وأن نفهم جيدًا أنه ليس كل من ابتسم فى وجهنا فهو صديقنا ، وليس كل من

تجهم أمامنا وعارض آراءنا فهو عدونا .

ثم علينا أن ننضح وننمو ، ولا نقف مكتوفى الأيدى فى زاوية المراهقة الانفعالية أو الفكرية ، ونكف عن الحب والفكر بقلوبنا وعواطفنا دون عقولنا .

وكفانا خرابا ودمارا لحياتنا ولأطفالنا أجيال المستقبل وزهور الغد ، ولنستعن بالمنقول والمعقول من الآراء والأحكام فهى خير نبراس وعون . فإذا كان أجدادنا قد صنعوا حضارة الدنيا فى عهودهم المشرقة ، فهذا يعنى جودة وعظمة الماضى ، ويبقى حاضرنا معلقًا فى رقابنا فهل نستطيع أن نجوِّده ونصبغ لوحاته بأفضل الألوان والعناصر ؟! .

obeikandl.com